الأسد بورمان !

قصة بقلم عبد المجيد لطفي

لا اعتقد انني كرهت حيوانا في حياتي مثل كراهتي لكلب جارنا! انني اعرفه بالضبط منذ نعومة اظفاره عندما جيء به باهتمام بالغ ورعاية خاصة ـ من المستشفى البيطري ، وقال جاري يومئذ وهو يراني ارمم السياج الخارجي للمنزل

ـ الان صار لنا حارس حقيقي ، تستطيع ان تترك السياج واطئا ولا تتعب نفسك بتعليته وترميمه . وحتى ان تنام ملء عينيك وابوابك غير موصدة !

قلت ـ انه لشيء رائع ... ومن هو هذا الحارس ؟!

قال ـ هوذا في السيارة ، انه في المقعد الخلفي !

تطاولت بعنقي ونظرت من خلال الزجاج وقلت ـ انني لا ارى شيئا؟

قال ـ عجبا ، ان لك بصرا حادا ، هو ذاك ، اقترب ، ليس مفترسا بعد ! ..

دنوت من الباب الجانبي الاخير للسيارة وطرحت ما في يدي والقيت نظرة الى قاع المقعد الخلفي وصحت بشيء من الاستهزاء لم استطع كبحه : يا له من جرو مسكين ! ... افهذا هو ؟!

وعندئذ رأيت وجه جاري من جديد . وجها اخر جديدا كل الجدة، غضوبا عضوضا ومكفهرا وقد امتلأ بالتجاعيد التي لم تكن ظاهرة للعيان من قبل ، وقد جعله الغضب والتوتر شخصا تعسا جديرا بالرثاء .. فقد بدا لي كأنه جثة محنطة تحاول الحركة . والواقع انه تحول في نظري الى رمة بالية فقلت وانا شديد الاسف لما اصابه :

ـ هل اغضبتك كثيرا ؟! انه مجرد جرو ونحن على جيرة طيبة !.

قال ـ نعم ، انه جرو .. ولا يعرف الفضل الا ذووه !!

قلت ـ ان هذا صحيح فارجو المعذرة فلست من ذوي الفضل في فهم الكلاب ! فهل هو من سلالة جيدة ؟ ..

قال ـ طبعا ، لا اجود من سلالته !!

قلت ـ هل هو هجين ؟!

قال ـ نعم ، هجين من سلالتين رائعتي البسالة ! .. فيا له من هجين ، لو تدري كم بذلت في سبيل الحصول عليه ! وفوق ذلك فهو ذكر . وان حيا عريضا كبيرا وطويلا ومتعدد المداخل والدور ذات الاسيجة الواطئة بحاجة شديدة جدا الى مثل هذا الحارس الامين !.. وشيئا فشيئا سيتعرف على جميع سكنة الحي ويميز بدقة بين الاصيل والدخيل !!

قلت ـ هل هو من سلالة ذئبية ؟!

قال ـ انك تهينه حين تقول هذا عنه ! انت على ما يبدو بكل اسف لا تفهم شيئا في انواع وسلالات الكلاب ! .. ولا يشفع لك انك شاعر وتكتب في الصحف ! .. على المرء ان يعرف هذه الاشياء الهامة المرتبطة بحياة الاخرين !

فقلت وانا اشعر بقليل من الحزن :

ـ المعذرة .. فانا حقيقة اجهل هذه الامور وبما ان معلوماتي تافهة في معرفة السلالات الكلبية ، الهجينة خاصة ، فارجوك ان تعرفني بنوعية وسلالة هذا الجرو ! ..

قال بارتياح من سيتحدث بصلابة ونجاح :

ـ انه من سلالة الزاسية جبلية وامه من كلابنا المحلية ، من اجودها نوعا وجدارة ، كانت امه كلبة في منطقة « بشندر » هل تعرف هذا النوع من الكلاب ؟ .. يبلغ علو الواحد منها علو جحش بالغ وبحجمه او اكبر ! .

فلت ـ اذن فسيكون حيوانا مفترسا ضاريا مرعبا !

فال وقد انشرح صدره للثناء :

ـ هذا صحيح ، ولكنه امر ضروري وعلى جانب من الاهمية بالنسبة لي ، فلقد اخذ بعض الاطفال من ذوي التربية السيئة يسطون على افنان دجاجي ويسرقون افضلها ... البيوض منها ! وهذا علاجهم، انتظره شهرا وبعض شهر وسترى كم هو فتاك ... ان الكلاب حيوانات ضرورية اجتماعيا فلا تحمل كلامي على غير محمله ! .

ترضية لجاري العزيز المتهيج دنوت من الجرو واخذت امسح ظهره ، كان جاري يضمه الى صدره بكف حانية وفي عينيه بريق الفرح .. وكان شعر الجرو جعدا ناعما يتموج بكثافة دافئة ويشعر بنعومة الجلد البض الطري يغطي صدر عذراء ! .. كان دافئا يشعر بالصداقة وبشيء غامض يملؤك بالامتنان والاعجاب ! فقلت :

ـ حقا انه لكلب رائع ! ..

فال ـ انه بعد جرو ، ولكن له كل سمات مستقبله العريق في هذه الفصيلة ! .. واذا اكتمل قوامه صار تحفة للناظرين !

فقلت اجامله من جديد : ـ الا ترى يا صديقي ان تتحوط للامر فلا تجعل منه كلبا شديد الضراوة والا سبب لك مشكلات لا تحصى...

فال ـ اذن ما فائدته اذا لم يكن كذلك ! اذا لم تكن الكلاب من هذا النوع ضارية فلن تكون كلابا بل قردة تافهة تربى لمجرد الاضحاك ! وستـرى .

فازددت اكبارا للجرو فقلت لاحاول انشاء علاقة راسخة موطده معه:

ـ انك على حق يا جاري الكريم ، انه على ما يبدو ، سيكـون نافعا للحي برمته . واذا ما صار ضخما ، وبرزت نيوبه ، يا الهي ، الا ترى ، يومئذ سيكون وحشا مفترسا اكثر مما هو كلب !؟

قال بزهو وخيلاء ـ بالطبع وسأقرنه في الاصفاد واطلق سراحه في الليل ... الوقت المناسب للصوص والسفلة ! ما رأيك في لونه ؟. صحيح انه سيتغير قليلا ولكنه على العموم سيظل هكذا ، رماديا وقد يتحول الى شيء في شهبة العسل غير المصفى .. وعندئذ ؟ ..

فلما طال سكوته وتربيته بلطف على ظهر الكلب انبريت اقول :

ـ وماذا عندئذ ؟! .

قال ـ عندئذ ستموت فيه كل كلاب الحي فراما ! ..

قلت ـ كلاب الحي ام كلباته ؟! . ان الكلاب عادة ! ..

قال ـ على حد سواء ... الذكور من الكلاب ستخشاه والاناث ستراوده ولن يقع في غرام الذكر غير الانثى ... تلك هي سنة الحياة!

صاحت زوجه الشمساء السمراء الناعمة الصوت التي لا ينقطع لها حوار تقول :

ـ لم تطيل الوقوف هكذا وقد فتحت الباب للسيارة منذ حين؟!. هيا ادخل ...

ولما مسيتها بالخير ردت بصوت رخو مهذب تسألني ـ ماذا معه؟..

قلت ـ انه حارس رائع للحي كله يا ام سرمد .. حارس من نوع رهيب ! .

القت السيدة زوجه نظرة متأملة نحو الكلب ولمست ذيله بعدم اكتراث وقالت ـ انه صغير ، انه لا يملأ العين ، اي عين ، افهذا ما وعدوك به ؟!

ودار بينهما حوار قاس فوجدت من المناسب ان انسحب فليس من الجميل ان اوري زناد الخلاف بوجودي بين زوجين جديدين .

وفي الليل تحدثت قليلا الى الاولاد عن كلب جارنا واضفيت عليه لونا من الابهة والفخار فبات الاولاد ليلهم يحلمون بالنهار ليملأوا اعينهم بمحياه الجميل ! ..

وصار الكلب على مر الايام والاسابيع حديث الازقة والاحياء المجاورة ووصل صيته الى ابهاء المدرسة الثانوية وتلهف استاذ علم الطبيعة الى رؤيته فكتب يطلب ان اجد له فرصة لتحقيق تلك الرغبة!! واعطي الكلب اسما مناسبا فصار ينادى باحترام بليغ ـ الاسد بورمان ـ ولا ادري من الذي اختار له هذا الاسم وكل ما اعرفه ان بورمان كان نازيا شرسا ، استاذا في فن ابادة الجنس البشري في الشعوب المتأخرة! ولكن صفة الاسدية كانت تضفي على بورمان الكلب روعة تبعد عنه ما يحيط ذكرى بورمان الجلاد من كراهية !

والعجيب في الامر انني وانا من القلائل الذين رأوا طفولة الاسد بورمان لم اعد اراه بعد ان شب عن الطوق كما يقولون ، سوى انني كنت اسمع هريره ولا بد انه حين كان يفعل ذلك ، كان يكشر عن نيوب قاتلة مليئة بجراثيم الشر والضراوة ! حتى انني بدأت اخافه على ما بيننا من سياج مرتفع متين .. وكان لسوء الحظ مربوطا في مرأب السيارة وكأنه وضع هناك لئلا يجرؤ سارق على جر السيارة ومحاولة سرقتها ، في حين كنت اعرف من الرائحة الكريهة ان اقنان الدجاج تقع في اقصى الناحية الجنوبية من الحديقة !

وصار بورمان كلبا حقيقيا صوته اجش وفي هريره رعب يشبه بعربدة صبي مراهق ! وصار ضيوف جاري يخشون زيارة صديقهم وحتى لا يجرؤون احيانا على دق جرس الباب فينادونه من وراء السياج وحتى في تلك الحالة كان بورمان ينبح بشدة ويشب ويهدد كل من نادى سيده !

واخذت كراهيتي له تزداد كلما ازدادت محبة الاولاد له،ولعل شيئا من الغيرة الكامنة قد انتابتني من هذا الحيوان الوقح الذي لم يكن يعرف من جيرتي شيئا محمودا حتى ولا يبادلني قليلا من الود عن طريق الشم وان رائحة تلك الصفة التي تتميز بها الكلاب او تنفرد ! .. فاذا هرعت لفتح الحنفية هر بورمان هريرا اشبه بالزئير وسمعت لاظفاره الحادة خشخشة كافرة على السياج ! وبدأت بعد حين احاوره حين امر بجوار السياج لفتح الحنفية ، وانتهيت مع نفسي الى ان بورمان يجب ان يروض ويعرف قيمة من يجاوره كعرفانه بقيمة من يساكنه !. فأخذت كلما ازداد هريره اصرخ به بمثل توتره واقول ـ اخرس يا بورمان ، ان لم تخرس سافعلها . اخرس يا اوقح الكلاب على الارض طرا ! . اني املك فعلا ما استطيع ان اخرسك به . » وكنت على حق فيما اقول ، ولفترة من الزمن انتهيت في تصميمي الى وجوب القضاء على الاسد بورمان .. بطريقة سهلة .. وانسانية ! قطعة طيبة من لحم الضأن ، اه ، وفوقها بعض السم القاتل ، وبعد ربع ساعة يخمد خلف سياج حديقتي هرير « القبيح بورمان » ومضيت اقول كلما صعد له هرير :

ـ اخرس يا بورمان ، ان لم تخرس !.. لا تضطرني الى ان افعلها ! .

وتوطدت الفكرة الشريرة في نفسي ضد الاسد بورمان ، وقد كان الحق الى جانبي فقد صار الاسد بورمان اسدا حقيقيا فيه كل صفات الاسد المفترس ! .. واخذت الدمدمة ترتفع ضده في كل بيت.. وهكذا اخذ النفور طريقه الى الاسد بورمان والى صاحبه. لا سيما بعد ان صار جاري المؤدب الصامت ، اكثر شجاعة وزهوا به وهو يأخذه للرياضة بين مساء واخر ، ممسكا بسلسلته المتينة التي يشد طرفها الى رسغ يده اليمنى زيادة في الحيطة والحذر ! .. وذات مساء قلت له وانا اتجنبه دون ازعاج :

ـ لقد صار كلبا حقيقيا ! ..

قال ـ بل اسدا ، فعلا انه اسد ، لا تنقصه سوى لبدة شقراء!..

قلت ـ نعم ياصديقي ، لقد صار كذلك !

فقال وهو فخور بما يقول ـ اتدري كم ساربح من نزاله بعد ايام؟!

قلت دهشا : ـ من نزاله ؟!

قال ـ نعم ، سانحدر به جنوبا ، هناك يوجد هواة من الاغنياء لا يزالون يربون كلابا للنزال والمعارك ... ويراهنون عليها بالكثير ...

قلت ـ اعرف ذلك وعندما كنت في وظيفة قديمة هناك، تعرفت على رجل اجرد طويل القامة كان مسؤولا عن تربية وحماية كلب من الكلاب الشرسة المعدة للخصام ، وكان يطعمه من حليب جاموسة خاصة به ويزوده كل صباح بوجبة من اللحم والثوم .. وصار بذلك من اشرس الكلاب ! ..

فقال جاري يحاول شد السلسلة : ـ وما قيمة تلك الكلاب بعد اليوم ، فلن يبقى لها الاسد بورمان ذكرا بعد الان . فان تغذية الكلب بلبن الجاموس واللحم المفروم بالثوم لا يجعل من الكلب اسدا في الوقت الذي ترى ، ان بورمان اشبه بالاسد ... يا له من كاسر وسترى!

وذهب جاري بعد اسبوعين الى الجنوب ، بعد ان حصل بمشقة بالغة على اجازة قصيرة لمدة عشرة ايام ، فان وظيفته كانت من الاهمية بمكان ! ورأيت جاري هذا يوم سفره وكان بورمان الاسد يقعي في المقعد الخلفي مشدودا بسلسلته القوية في مؤخرة المقعد بشكل فني لا يرهقه فودعني مبتسما وقال :

ـ وداعا ، ارسل لنا تمنياتك الطيبة !

واطبقت زوجه من خلفه باب الحديقة بغضب وامتعاض ...

صدر حديثا :

يا بحر

مجموعة شعرية

بقلم :

حكمت العتيلي

منشورات دار الاداب

ونسيت رحلته السعيدة فقد كانت لي ايضا مشاغلي الى ان رأيته عائدا بعد الاجازة ، وعجبت من امره فقد كان خائر العزيمة وحزينا... وفي الليل سمعت نباح بورمان اشد وقعا من الطبول المحروقة القريبة ، فصار نباحه يدق في ادق مشاعري واعصابي ويزعجني ايما ازعاج .

وعند الصباح وانا على اشد ما اكون من الاشمئزاز التقيت جاري يتلقى الحليب من البائع فقلت بعد التحية اعيد سؤال الامس :

ـ كيف كانت الرحلة ؟ ..

قال ـ ممتعة وحزينة !

قلت ـ وهل خسر بورمان ؟..

قال ـ لقد خاض ست معارك خلال تلك المدة القصيرة جدا وفي اربع جولات مزق ثلاثة كلاب من احسن انواع الكلاب المصارعة ، وبقر بطن احدها بشكل مقزز ، مزقه تماما ، ثم في الجولة الخامسة تضعضع قليلا وفي الجولة السادسة خسر تماما اولى معاركه ، فقد واحدة من اذنيه ، وانفتح في اعلى رقبته جرح ، عميق بعض الشيء! وازداد نباحه جفافا وخشونة !

قلت ـ وهل ربحت في هذه الرحلة الى الجنوب ؟ ..

قال ـ من الناحية المادية نعم ... نحوا من مئة وخمسين دينارا وجاموسة ...

فقلت ـ اذن فقد كوفئتمكافأة طيبة ، وعلى العموم ، كيف هي صحته ؟ ..

قال ـ انه في حالة نفسية مؤلمة يشعر بمذلة الهزيمة ، وينسى النصر الذي ناله في الجولات الخمس الرابحة ! . ادع معي ان تكتب له السلامة ونسيان تلك الجولة اللعينة التي خسر فيها واحدة من اذنيه!

ولم اعد اسمع للاسد بورمان هريرا وقحا ، فكنت حين احاذي السياج يهر هريرا يشبه الولولة ويئن متوجعا ، فاخذني الاشفاق عليه. حتى خيل الي انه يمر في ساعات مدلهمة من الكرب والالم ، وقلت ان جرحه لا بد في طريقه الى التسمم ، يا لصاحبه الشرس المتوحش!

وفي المساء قلت لجاري المكتئب :

ـ ان نباح الاسد بورمان لا يعجبني !..

قال ـ كيف ؟

قلت ـ لم تعد فيه حيوية ، ان روح الافتراس قد انطفأت فيه، هل اخذته الى بيطار ؟ ..

قال ـ طبعا وجرحه يلتئم ولكنه جريح نفسانيا ،

قلت ـ يا للاسف لتأخر الطب النفساني ، والا لوجدنا من يرفع عن بورمان ويحلل مصدر تعاسته ! ...

فقال مغضبا يحك عثنونه : ـ انهزأ بي !؟

قلت ـ معاذ الله ، ان قلت الا صدقا .

فقال بحزن واسف : ـ بارك الله فيك ، لقد بدأت تحب هذا الكلب الشجاع ! ..

وافترقنا وفي قلبي عليه غصة ، وبعد يومين وقد عدت من سفر قريب وجدت الوجوه من حولي مكفهرة مدلهمة فسألت اقرب اولادي الي « ماذا يجري ؟ .. ما المصيبة ؟ » فاجابت زوجي والاولاد سكوت :

ـ استرح قليلا ... كل شيء سيتضح في الوقت المناسب ، الا تأكل ؟ ..

قلت ـ لا ... ما المسألة التي ترسم على وجوهكم كل هذا الحزن المرير ؟! ..

عندئذ وفي لحظة من الضعف البشري انطلق اصغر اولادي الى القول بصوت يمزقه الحزن : ـ لقد مات بورمان ، الاسد بورمان مات !

بغداد **عبد المجيد لطفي**

من دفتر وعل

لم يبق اله مسلول الشفتين .
هجرت حتى بجعات التبغ مقاهينا .

وكخارطة من خبز مبلول ازرق
تنجر مدينتنا .

لم يبق اله شفاف احمق .
هجرتنا اعياد الملح الوتني ،
والصاعقة المصنوعة من
قضبان اللوز المسروقه ،
وعقاب اخضر يملأ محبرة الصيف
بخيانة كبد مشقوقه .

لا ريشة طاووس
تتسكع في مرحاض البحر .
لا سفر رحيل .. لا عليقي من لهب
في اذن نبي .

هجرتنا الاسماك المقلية ، في
زنار القديس .

كهانك ماتوا .. .
يا حقل الذرة الصفراء !
(ويبيع طفالى الوعل من الضجر
سيف المطر .)

لا كلمة عاشقة فينيقيه
في نطفة خزير بري .
العالم يركض كالدينا صور المجهض
والموت كقطعة امتعة رثه
تستفرغ ،
أو
كرسي محطوم
ابيض .

بيروت **هنري فريد صعب**